25 مايو.. يوم انكسار المشروع الإيراني في المنطقة على أسوار الضالع

■ تفاصيل وأسرار تنشر لأول مرة عن ملحمة الضالع الكبرى

ساعة الصفر والسر العظيم للانتصار

توثيق وإعداد: بكيل الجحافي
- استطلاع: طارق القحطاني:

أن تعيش في أرض بلا وطن، وذات بلا انتماء، وإرادة مكبوتة أمام بقايا قوة كامنة واثبة ظلما وعدوانا، فهذا يعني أن هزيمة ٩٤م لم تكتمل بعد، وأن إرادة المغلوب ستعاود حربها على قوة الغالب بكل الوسائل الممكنة والمتاحة حتى تنهزم الهزيمة وتأتي الضالع بما لم تستطع أن تأتي به في العام ٩٤م لتجعل المستحيل ممكنا وتفهم غشاوة المحتل ما استحال أن يفهمه طيلة عقود مضت لنستعيد ومن الضالع تاريخا ومجدا جديدا في عهد طال ظلمه وظلامه شرب الظالم فيه نشوة انتصاراته فوق أوجاعنا وعربد مجونه واستغرق عمرًا.

ملحمة الإثنين الموافق ٢٥ مايو ٢٠١٥م هذا اليوم الذي انتصرت فيه الضالع لتنتصر الجنوب وينتصر العرب.. هذا اليوم الذي أثبتت فيه الضالع أنها القادرة على التحدي والمواجهة والعطاء في زمن تهاوت فيه معظم وأعظم جيوش وعواصم العرب العاصمة تلو العاصمة أمام مشروع فارسي له تاريخه في بالمنطقة.

هذا اليوم لم يأت عبثا أو صدفة أو ردة فعل عابرة، بل كان إمدادا وحصادا وقطف ثمار لثورة عظيمة صادقة عادلة بكل معانيها ودلالاتها بدأت عناصر ثم خلايا سرية ثم حركات عسكريةٍ وسياسية وحقوقية انتشر الوعي والتف الشعب حولها لتصبح ثورة سلمية حضارية كأول ثورة سلمية رائدة في الوطن العربي حتى جاء المشروع الإيراني الفارسي بالمنطقة عبر أدواته الحوثية باليمن والجنوب من العام ٢٠١٥م، هذا المشروع الذي انكسر ولأول مرة في المنطقة العربية على أسوار الضالع.

نعم، ستون يوما كانت قد سبقت هذا اليوم كانت الضالع تقاتل بشكل منفرد زاد القتل والدمار والنزوح والحصار والتهجير وأصبحت متطلبات الحياة الأساسية على وشك النفاذ نصف سكان المدينة هاجروا إلى القرى والأرياف ليقاسموهم لقمة العيش والبحث عن أمان والنصف الآخر واقع تحت حصار وفي ميدان حرب الكل مستهدفا فيها هنا: أدرك الجميع أن الانتصار للضالع كل الضالع لا يمكن له أن يتحقق إلا متى ما توحد الجميع واتفقوا على هجمة واحدة في ساعة واحدة وصوب عدو واحد وهذا ما تم من خلال اللقاءات والتخطيط والتنسيق.. فبعد ١٤٤٠ ساعة حرب لم تشهدها الضالع على مر التاريخ بلغت القلوب الحناجر وأصبح الكل يتساءل ويسأل: هل من ساعة للحسم والنزال؟! الساعة الثانية عشر من منتصف ليلة الأحد الموافق ٢٥/٥/٢٠١٥م جاء الجواب يقينًا لكل من كان لا يعلم بالأسرار أن مفتاح النصر هو سقوط مواقع الخزان.

لقاءات ما قبل الملحمة

مساء السبت الموافق ٢٣/٥/٢٠١٥ م وفي مدرسة "الدرجة" عُقد لقاء ضم معظم قادة جبهات الضالع (المدينة) برئاسة الشيخ/ رشاد الشرعبي قائد جماعة أهل السنة والقائد ناصر مسيعد وحمادة وعبدالعزيز الهدف وعمار علي محسن والشيخ وليد وآخرون، خرج اللقاء بالاتفاق على أن يشارك كل قائد جبهة أو فصيل بسرية مقاتلة لا يزيد عدد مقاتليها عن ثلاثين مقاتلا وذلك للمشاركة في إسقاط مواقع الخزان الإستراتيجية المطلة على معسكر الجرباء مع بقاء كل قائد ممن اجتمعوا للاستعداد والقتال في الجبهة التي رابط فيها واتفقوا على أن يكون الشيخ رشاد الشرعبي رسول اللقاء إلى القائد/ عيدروس قاسم عبدالعزيز قائد المقاومة الجنوبية وهذا ما تم فعلا وتمت الموافقة عليه من قبل قائد المقاومة الجنوبية /عيدروس قاسم عبدالعزيز وتشكلت بعده الفرق.

بالمقابل وفي الأجزاء الشمالية الشرقية لمناطق الشاعري بقيادة شلال شايع والشنفرة كان قادة وأبطال تلك الجبهات كأبي ماجد الشعيبي وسيف سكرة وعبدالناصر مانع (النخرة) وعبدالكريم صولان الشعيبي وأبو الجنوب وفهمي علي ناصر وغيرهم.. وبالتحديد رأس نخيل الخريبة كانوا يشدون الرباط والخناق قبل أيام من يوم الملحمة على أساس الهجمة على معسكر الجرباء تزامنا كما ذكرنا مع موعد قصف الطيران العربي. اجتمع القادة المذكورون في رأس نقيل الخريبة بقوام ٢٠٠-٣٠٠ مقاتل وفي حوزتهم السلاح الخفيف والمتوسط كالهاوون وآر بي جي وبي عشرة ودشكات ١٢،٧ وبعض المعدلات وحوالي ستة أطقم، رسموا الخطة والهدف وساعة الهجوم تزامنا مع إعلان ساعة الصفر وعيونهم تترقب صوب المواقع الشرقية الشمالية لمعسكر الجرباء المحاذية لقرى الجرباء والكبار في الوقت الذي كان جميع الأبطال في باقي الجبهات على أتم الاستعداد والجاهزية.

الجبهة الثانية (الميسرة) وهي الأشد ضراوة وشراسة وسعير حرب والمتمثلة بالجبهة الممتدة من دار الحيد فالعرشي، قلب الضالع، وحتى حدود عيفر والتي كان يتواجد بها دشكات أذاقت العدو ويلات وجحيم الحرب كاستهداف المضلوم، شارع السلامة، الصفراء، الأمن المركزي، وفيها صناديد القادة والرجال كعبدالعزيز الهدف وناصر مسيعد وعمار علي محسن وعلي وجرجور ومحسن عبدالله وعبدالله الشجاع وعلاء الدبسي والمعده ومحمود البتول والقائمة كثيرة ولا مجال لذكر كل الأبطال، هذه الجبهة التي خسرت الضالع فيها أبرز وخيرة القادة من الشباب كالشهيد القائد/علي عبدلاه الخويل والشهيد القائد/علي الرجال والشهيد القائد/أياد الخطيب والشهيد القائد/هيثم الدب والشهيد القائد/فارس الضالعي، هذه الجبهة الطويلة الممتدة وخلفها موقع الدريب الدفاعي الاستراتيجي بقيادة العقيد/علي ناصر المعكر وفضل العبل وعبدالحكيم هرول كانت على أتم الاستعداد والجاهزية لساعة الصفر.

في الوسط جبهة الجمرك، الجريذي، وادي المزرعة أو الزراعة، وتستهدف الأمن العام، الجريذي، وادي المزرعة، القشاع، بقيادة الحميدي والشيخ وليد وعمر سيف ومحمد ناجي وحيدر سيف وأبو طارق وغيرهم... هذه الجبهة كانت من أخطر الجبهات بالنسبة للمقاتل الجنوبي كونها أرضا منخفضة ولا تسمح لك باستخدام سلاح متوسط نتيجة الكر والفر وانت تقاتل فيها، تلك الجبهة استطاعت أن تفصل الطريق بين معسكراتهم ومقر قيادة معسكر الجرباء وهي جبهة مواجهات وجها لوجه مع العدو.

في شمال وشمال غرب المدينة المتمثلة بجبهات الساحة والوعرة والرباط بقيادة عبدالواسع وقابوس و.و.و.. جبهات قطع الإمدادات والاشتباكات الدائمة والتي مثلت رأس حربة مع العدو نتيجة لموقعها هي الأخرى تعد وتستعد للحظة الصفر والانقضاض.

تلك جبهات، ولكل جبهة قادتها ورجالها واستراتيجيتها، والهدف واحد صوب عدو واحد وكل جبهة لا صوت غير صوت البندقية والتضحية والفداء والتقدم بخطى ثابتة وبأي ثمن كان، النصر أو الشهادة.

إعلان ساعة الصفر وبدء الملحمة

كما ذكرنا كان القائد/ عيدروس الزُبيدي قائد المقاومة الجنوبية في الجهة الشرقية الجنوبية قلب القيادة والسيطرة بالنسبة للمقاومة الجنوبية قد عقد عدّة لقاءات وعدة خطط سابقة للهجوم وإسقاط الخزان وكان على تواصل مع دول التحالف بموعد هجوم جوي من قبل طائرات التحالف إلا أنه في موعدين للهجوم لم تأتي طائرات التحالف.

وبعد اللقاء الأخير بالشيخ رشاد والاتفاق على الهجوم وتحديد ساعة الصفر عقد القائد/ عيدروس الزبيدي لقاءً هو الأخير ما قبل الهجوم.

الساعة الثامنة من مساء ليلة الأحد الموافق ٢٤ مايو ٢٠١٥م، أجتمع قائد المقاومة الجنوبية العقيد/ عيدروس الزبيدي مع قادة فرق الاقتحام المتفق عليها في أحد الشعاب الواقعة بين قرية الأسلاف وقرية الحَجر أسفل مواقع الخزان في الوقت الذي كان الأبطال في باقي الجبهات على أتم الاستعداد والجهوزية في المكان تم توزيع الفرق والمهام بين قادة وأبطال ورجال الاقتحام...اتفقوا على ثمان فرق تقريبا ولكل فرقة قائد سنذكر الأبرز منهم كشواهد وهم: أبو عبدالله عمر ناجي, والمليشي ,وأبو جمال ,وأبو الجنوب ,وأبو توفيق وأبو قاسم وأبو بكيل وحمادة ومهران العقبي ومعتوق وعلي سعيد و.و.و... تم توزيعهم إلى ثمان فرق كل فرقة لا تزيد عن ثلاثين ولا تنقص عن عشرين مقاتلا إضافة إلى من التحقوا بعد، وعلى أن يكون القائد عمر ناجي / أبو عبدالله هو قائد معركة التحرير وركن الاستطلاع بالإضافة إلى العميد أبو بكيل والمليشي... الساعة الثانية عشر ليلا كان موعد ساعة الصفر وبدأ الاقتحام وكان القائد أبو قاسم الزبيدي على تواصل مع طيران التحالف للإسناد الجوي إلا أن طيران التحالف لم يأتي هذه الليلة! وللمرة الثالثة فاضطر القائد الزبيدي باتخاذ قرار الاقتحام ساند الطيران أم لم يساند، هنا وقف القائد أبو عبدالله عمر ناجي يوصي رفيقه أبا توفيق قائلا: "الليلة يجب أن يودع بعضنا بعضا، أشعر بالنصر لكني أشمُ رائحة الموت وإذا استشهدتُ فمروا من على جثتي وواصلوا القتال". يمسح أبو توفيق دموعة لم يستطع إكمال القصة.

ساعة الصفر والسر العظيم للانتصار

الساعة الثانية عشر وثلاثون دقيقة من منتصف ليلة الأحد الموافق ٢٥مايو ٢٠١٥ م دبابة الدريب بقيادة العقيد/ المعكر والعبل تدشن ساعة الصفر بالتمشيط الناري والهجومي على العدو المتمترس في المضلوم والأمن المركزي ومقر اللواء والصفراء وشارع السلامة وهذا هو: (السر والشيء الذي جعل العدو غير مدرك لخفايا وأسرار اجتماع الأسلاف وزحف الثوار، حيث كان تركيزهم وحذرهم بالدفاع عن موقع المضلوم المطل على قرية الحود والدقة حتى أن سلاح الـ ٢٣ والبي عشرة المتواجد في أعلى مواقع الخزان التابع لهم كان هو الآخر مشغول في هذه الليلة بالإسناد والدفاع كي لا يسقط المضلوم، في الوقت نفسه الذي كانت تتقدم فيه أبطال ورجال الفرق لإسقاط الخزان، وهنا كمراقب وشاهد عيان لمسرح وأحداث عمليات تلك الليلة مثل خدعة حربية رهيبة جدا جدا وقع فيها العدو ولم يكن في الحسبان أن الهجوم من عدة جبهات وأن المستهدف الرئيسي والأساسي هو الخزان).

اشتعلت جبهات العرشي وبهيش والصفراء ودار الحيد والجمرك في ملحمة ليلية أشد الوطيس مع العدو المتمترس في المضلوم ومعسكر الأمن المركزي ولواء عبود والجمرك، بينما أبطال وفرسان فرق الاقتحام تتقدم بخطى ثابتة عازمة على التضحية والفداء وبأي ثمن كان نحو مواقع الخزان ساعة فساعة، ولا شيء غير الحسم النهائي للمعركة مهما كان الثمن.

كانت كل ساعة تزداد ضراوة وشراسة وسعير الحرب، الساعة الرابعة تقريبا من فجر يوم الإثنين الموافق ٢٥ مايو أبطال فرق الاقتحام تقترب من رأس الخزان وسماع الاشتباكات المباشرة وجها لوجه مع العدو ليعلنوا وبالصوت العالي من أعلى مواقع الخزان الساعة الخامسة فجرا: "الله أكبر، الله أكبر، النصر للجنوب، الموت للحوثي وعفاش" صوت دوى في فضاء الضالع فسمعه الحجر والشجر والبشر، احمرت الوجوه وقشعرت الأبدان وامتلأت القلوب بتباشير النصر والانتصار وسيبقى صدى وتردد هذا الصوت باقيا في قلوب وأذهان الأحرار ما بقي الليل والنهار. سقوط الخزان يعني سقوط الجرباء لا محالة. الساعة الثامنة صباحا سقط معسكر الجرباء بالكامل والأبطال يصعدون على ظهر الدبابات والمدرعات والعربات وهم يهتفون بصوت واحد: "الله أكبر النصر للجنوب الموت للحوثي وعفاش". العاشرة صباحا أبو القاسم الزبيدي يصعد إلى مكتب ضبعان آنذاك ليعقد أول اجتماع طارئ بقادة السرايا المعدّة مسبقا لإدارة شؤون المعسكر.

دبابة خشم الأسد التي أذاقت الضالع ويلات الحرب والجحيم، الساعة السادسة من صبيحة ذلك اليوم ما زالت تقصف العرشي والدريب وعيفر، الساعة الثامنة وأربعون دقيقة العقيد المعكر وبنفس الذخيرة يدير برجها نحو الأعداء الذين فروا منها قبل دقائق لتلاحقهم وترديهم قتلى في أحد المنازل قرب الكبار. خروج أول ثلاث دبابات من معسكر الجرباء بقيادة شباب تدربوا في موقع الدريب قبل أيام إلى جانب دبابة العقيد أبو ردفان وزغاريد النساء والأطفال وطلقات الرصاص ابتهاجا بها، مرورا بالشارع العام شباب تفرغ مخازن من الرصاص إلى السماء لم يستطيعوا تحمل الموقف، أبو ردفان يصعد موقع العرشي ليتمركز في أعلاه ويوجه أول ضرباته إلى موقع الخربة ومشارف ومنارة مستشفى السلامة الذي ما زال قناصة الحوثي بداخله، ويلاحق العدو إلى موقع سارية العلم والخربة والبنك والعوالل. ثلاثة من أشجع الفرسان يصعدون أحدهم فوق أكتاف الآخر ليقتحموا سور ومعسكر الأمن المركزي الشاهق، مداهمات واقتحامات واشتباكات وجها لوجه بالسلاح الأبيض، أمتار وجدر فقط تفصل بين المهاجمين الأبطال والغزاة المتمترسين في جبهة الوسط، ملاحقة وفرار، تمشيط وتطهير، هتافات وتكبيرات، رأس المضلوم، واشتباكات مستمرة وسط وقلب لواء عبود وموقع الخربة على وشك السقوط. سقط الأمن المركزي بالكامل، سقط اللواء، سقطت مواقع الخربة والبنك المركزي وموقع الولي أمام الكبار وقناص منارة مسجد السلامة ما زالت رصاصاته تستهدف كل من يتعدى الشارع، هنا أدار أبو ردفان دبابته التي أغتنمها وبسرعة جنونيه انطلق من العرشي إلى الجمرك وصولا إلى مقابل إدارة الزراعة (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) طلقة واحدة جعلت من القناص الحوثي قطعًا تتطاير في السماء، لتعلن الضالع بعدها وبالتحديد الساعة الرابعة من عصر يوم الإثنين ٢٥ مايو وللعالم أجمع (الضالع تحررت.. الضالع أرض طاهرة لا حوثي فيها ولا عفاشي).

عشرات الجثث لشهدائنا الأبرار ملقاة على طول شارع السلامة، ومئات الجثث من قتلى الحوثي وصالح ملقاة في مختلف الأماكن منها ١٣ جثة في رأس الخزان،١٥جثة على طريق الجرباء. ٧ جثث بالقرب من الكبار،٤ جثث في مفرق الجمرك ٣ جثث في جولة السلامة، ٣ في اللواء، ٤ في باب اللواء، ٣ أمام باب البنك المركزي.

مستشفى النصر العام يرسم كل مشاهد الألم والأمل في هذا اليوم، غرف ومساحات وصالات تفترش جثامين الشهداء الأبرار، أم تصرخ وأم تزغرد، أب يحتضن ابنه ليودعه وأخ يقبل أخاه الشهيد، بقايا أشلاء هنا وبقايا دماء هناك، وجوه مغطاة بالدم والقائد ناصر مسيعد ينزف دما والأطباء حوله وهو يسأل: هل سقط لواء عبود؟! الضالع أجمع تهتف وبصوت واحد: "الله أكبر، الله أكبر" والشيء الرهيب في هذا اليوم هي وجوه الناس جميعا وكل من تلقاه أمامك وهو ممتلئ بنشوة الانتصار، حتى محطة الحدي، تم تطهير الضالع بالكامل وقادة ورجال جبهات شحذ ولكمة الحجفر والوبح بقيادة الشنفرة استطاعوا أن يسقطوا أهم وأكبر موقع يتواجد به العدو وبالسلاح الثقيل مكون من دبابات وسلاح الهاون والدشكات في مدرسة الوبح ليبقى موقع السوداء الشاهق والاستراتيجي هو فقط كل ما تبقى للعدو في هذا اليوم تم إسقاطه في اليوم الثاني.